ومعنى (لا يرتد إليهم) لا يرجع إليهم أي لا يعود إلى معتاده أي لا يستطيعون تحويله . فهو كناية عن هول ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه لا تطرف أعينهم .

وقوله (وأفئدتهم هواء) تشبيه بليغ إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول . والهواء في كلام العرب : الخلاء . وليس هو المعنى المصطلح عليه في علم الطب وعلم الهيئة .

(وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) عطف على جملة (ولا تحسبن ا غافلا عما يعمل الظالمون) أي تسل عنهم ولا تمللل من دعوتهم وأنذرهم .

والناس : يعم جميع البشر . والمقصود : الكافرون بقرينة قوله (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) . ولك أن تجعل الناس ناسا معهودين وهم المشركون .

و (يوم يأتيهم العذاب) منصوب على أنه مفعول ثان ل (أنذر) وهو مضاف إلى الجملة . وفعل الإنذار يتعدى إلى مفعول ثان على التوسع لتضمينه معنى التحذير كما في الحديث " ما من نبي إلا أنذر قومه الدجال " .

وإتيان العذاب مستعمل في معنى وقوعه مجازا مرسلا .

والعذاب : عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا الذي هدد به المشركون و (الذين ظلموا) : المشركون .

وطلب تأخير العذاب إن كان مرادا به عذاب الآخرة فالتأخير بمعنى تأخير الحساب أي يقول الذين ظلموا : أرجعنا إلى الدنيا لنجيب دعوتك . وهذا كما في قوله تعالى (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت) فالتأخير مستعمل في الإعادة إلى الحياة الدنيا مجازا مرسلا بعلاقة الأول . والرسل : جميع الرسل الذين جاءوهم بدعوة ا .

وإن حمل على عذاب الدنيا فالمعنى : أن المشركين يقولون ذلك حين يرون ابتداء العذاب فيهم . فالتأخير على هذا حقيقة . والرسل على هذا المحمل مستعمل في الواحد مجازا والمراد به محمد A .

والقريب : القليل الزمن . شبه الزمان بالمسافة أي أخرنا مقدار ما نجيب به دعوتك .

(أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال [44] وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال [45]) لما ذكر قبل هذه الجملة طلب الذين ظلموا من ربهم تعين أن الكلام الواقع بعدها يتضمن الجواب عن طلبهم فهو بتقدير

قول محذوف أي يقال لهم . وقد عدل عن الجواب بالإجابة أو الرفض إلى التقرير والتوبيخ لأن ذلك يستلزم رفض ما سألوه .

وافتتحت جملة الجواب بواو العطف تنبيها على معطوف عليه مقدر هو رفض ما سألوه حذف إيجازا لأن شأن مستحق التوبيخ أن لا يعطى سؤله . فالتقدير : كلا وألم تكونوا أقسمتم... الخ .

والزوال : الانتقال من المكان . وأريد به هنا الزوال من القبور إلى الحساب .

وحذف متعلق (زوال) لظهور المراد قال تعالى (وأقسموا باﷲ جهد أيمانهم لا يبعث اﷲ من يموت) .

وجملة (مالكم من زوال) بيان لجملة (أقسمتم) . وليست على تقدير قول محذوف ولذلك لم يراع فيها طريق ضمير المتكلم فلم يقل : ما لنا من زوال بل جيء بضمير الخطاب المناسب لقوله (أو لم تكونوا) .

وهذا القسم قد يكون صادرا من جميع الظالمين حين كانوا في الدنيا لأنهم كانوا يتلقون تعاليم واحدة في الشرك يتلقاها الخلف عن سلفهم .

ويجوز أن يكون ذلك صادرا من معظم هذه الأمم أو بعضها ولكن بقيتهم مضمرون لمعنى هذا القسم .

وكذلك الخطاب في قوله (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) فإنه يعم جميع أمم الشرك عدا الأمة الأولى منهم . وهذا من تخصيص العموم بالعقل إذ لا بد أن تكون الأمة الأولى من أهل الشرك لم تسكن في مساكن مشركين .

والمراد بالسكنى : الحلول ولذلك عدي بحرف الظرفية خلافا لأصل فعله المتعدي بنفسه . وكان العرب يمرون على ديار ثمود في رحلتهم إلى الشام ويحطون الرحال هنالك ويمرون على ديار عاد في رحلتهم إلى اليمن .

وتبين ما فعل اﷲ بهم من العقاب حاصل من مشاهدة آثار العذاب من خسف وفناء استئصال .

وضرب الأمثال بأقوال المواعظ على ألسنة الرسل " عليهم السلام " ووصف الأحوال الخفية .

وقد جمع لهم في إقامة الحجة بين دلائل الآثار والمشاهدة ودلائل الموعظة